

في نور محمد فاطمة الزهراء

غير أن استهجانهم لم ينل شيئاً من سكينه شيخ بني هاشم، بل زاده طمأنينةً، فقال بهدوء: إنّي أنا ربّ الإبل أمنعها، أمّا البيت فله ربّ يمنعها. عندئذ استشاط «أبرهة» غضباً، وصاح باعترار: وما كان ليمنع منّي. قال عبدالمطلب بلا اكتراث: أنت وذاك! وعاد بإبله [307]. * * * ليس حرصاً على نَسَبِهِ [308] كان موقف الشيخ من عدوّه، ليس خوفاً من جبروت القوة، ليس تخاذلاً ولا ثبوت همّ، ليس تواكلاً ولا تغافلاً عن التبعة. ليس كموقف بني إسرائيل يوم حثّهم موسى: أن ادخلوا الأرض المقدّسة [309]، فازوروا [310] عنه وأجابوه: (فَإِذْ هَبَّ أَزْمَتَ وَرَبُّكَ فَفَقَاتِلَا إِنْ زِلَّ هَذَا هُنَا قَاعِدُونَ) [311]. أجل، ليس هذا كلّها، ولا بعضه. أم أين الحرص وقد قلّد عبدالمطلب إبله التي استردّها، وشعّرها، وساقها هدياً إلى الكعبة؟ أم يعرف الرهب سبيلاً إلى قلب من يجابه الأسد في عرينه بما يكره؟ أم هو تخاذل أن يعقد الشيخ راية الحرب، ويجمع أجلاّد فتیان قومه يعسكرون بمنى على أهبة؟ أم كيف يسوغ دمه بالتنصّل من التبعة وقد دفع بالنساء والأطفال وضَعْفَةَ الشيوخ والكهول، فتحرّزوا - خشية عليهم من معرّة السبي والأسر - برؤوس الجبال، وقمم الشعاب في مكة؟ لا، بل صدق لإحساس صادق بما سوف يقع كان موقفه من «الأشرم».